ARDOUT

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

لابن البيطار

د. عبدالحليم منتصر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(التراث الإنساني)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلي

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الفني والفني
محمود الهندي

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية
لابن البيطار
د . عبد الحليم منتصر

---

١ ـ ابن البيطار

هو أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المالقي العشاب المعروف بابن البيطار، امام النباتيين وعلماء الأعشاب ، ولد في الربع الأخير من القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) من أسرة ابن البيطار في مالقه ، كان من شيوخه في علم النبات أبو العباس النباتي، الذى كان يجمع النباتات من منطقة اشبيلية ، ولما بلغ العشرين من عمره ، جاب شمال

أفريقيا ، ومراكش ، والجزائر ، وتونس ، لدراسة النبات . وعندما وصل الى مصر ، كان على عرشها الملك الكامل الأيوبي ، التحق بخدمته فعينه رئيسا على سائر العشابين ، ولما توفي الكامل ، استبقاه في خدمته ابنه الملك الصالح نجم الدين الذي كان يقيم في دمشق ، وبدأ ابن البيطار من دمشق يدرس النباتات في الشام واسيا الصغرى بصفته طبيبا عشابا ، وكتب مؤلفيه اللذين اشتهر بهما ، وهما ثمرة دراساته العلمية والعملية ، أولهما كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، وهو مجموعة من العلاجات البسيطة المستمدة من النبات والحيوان والمعادن ، جمعت من مؤلفات الأغارقة والعرب ومن تجارب المؤلف خاصة . وثانيهما ، كتاب المغني في الأدوية المفردة في العطاقير ، تناول فيه علاج الأعضاء عضوا عضوا بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء . وكان ابن أبي أصيبعة تلميذا لابن البيطار ، صحبه في رحلاته وأسفاره للكشف عن النباتات

في منطقة دمشق . ومن عجب أن ابن أبي أصيبعة لم يعطنا معلومات وافية عن أستاذه ابن البيطار . وقد عاش ابن البيطار نحو سبعين عاما ، وتوفي عام ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) . وقد ترجمت كتبه الى اللغات الأجنبية .

٢ ـ كتابه الجامع

يقول ابن البيطار في مقدمة كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، انه قام بوضع كتابه في الأدوية المفردة في أربعة أجزاء ، تنفيذا للأوامر السامية الملكية الصالحية النجمية (١) ، يذكر فيه ماهياتها ، وقوامها ومنافعها ، ومضارها ، واصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جرمها أو عصارتها أو طبيخها ، والبدل منها عند عدمها ، وأنه قد توخى في ذلك تحقيق ستة أهداف ، الأول استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام ، والاستمرار عند الاحتياج اليها في ليل

---

(١) يريد الملك الصالح نجم الدين أيوب .

كان أو نهار ، يقول وقد استوعبت فيه جميع ما في الخمس المقالات من كتاب الأفضل ديسقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جالينوس في الست المقالات من مفرداته بنصه . ثم الحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية والحيوانية ما لم يذكراه ، ووصفت فيها عن ثقات المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه . وأسندت في جميع ذلك الأقوال الى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها، والغرض الثاني : صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ، وثبت لدي ، ادخرته كنزا سريا ، وأما ما كان مخالفا في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية ، نبذته ظهريا ، ولم أحاب في ذلك قديما لسبقه ، ولا محدثا اعتمد غيره على صدقه ، والثالث : ترك التكرار الا فيما تمس الحاجة اليه لزيادة معنى وتبيان ، والرابع : تقريب مأخذه بحسب

ترتيبه على حروف المعجم ، والخامس : التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم او غلط لمتقدم او متأخر ، لاعتمادى على التجربة والمشاهدة ، والسادس : ذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات.

ذلك دستور ابن البيطار فى كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، وهو يتضمن صورة صادقة للطريقة العلمية التى اتبعها ابن البيطار فى تأليف كتابه ، انها الاعتماد على المشاهدة والتجربة ، وذكر المصادر التى نقل عنها ، وتحرى الصدق والدقة . وسنعرض فيما يلى نماذج مما تناوله من نبات وحيوان ومعادن .

أولا : فى النبات

يقول فى نبات « الوسج » : اسم يونانى أوله الفاء الأولى مهموزة ممدودة والثانية هوائية ، ويسمى حشيشة النجاة ، وحشيشة السلحفاة ، نبات ذو ساق واحدة ، وله ورق مستدير ، وله فى أصول الورق ثمر فى شكل الترس ذو طبقتين فيه بذر صغير ، ينبت فى

أصفر منه ، وأعلاه مشقق وله عيدان خمسة أو ستة طولها نحو من شبر وزهر أبيض ، وثمر أسود صغير قابض ، وعيدان هذا النبات وورقه مسلوعة رطوبة . وعرق الأذريون صنف مع الأقحوان ، منه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر ، ثم آذان الفار البستاني ، وآذان الفار البري آذان الأرنب .

وينقل عن أبي حنيفة قوله في الأراك ، أفضل ما استيك به ، بأصله وفروعه مع الشجر وأطيب ما رعته الماشية رائحة لبن ، وهو ذو فروع شائكة ، وثمره في عناقيد ، وتكلم عن الأثر ، والأسل ، والآس . يقول ينمو بأرض العرب بالسهل والجبل ، وحضرته دائمة ، وينمو حتى يكون شجرا عظيما ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرة سوداء اذا أينعت ويقول في الأثنة . المعروف بشيبة العجوز ، الجيد منها ما كان أعلى شجر الشربين ، وكانت جبلية ، وبعدها ما يوجد على الجوز ، وأجود من هذه ماكانت أطيب رائحة ، وكانت بيضاء ،

وما كان منها لونه الى السواد فانه أردؤه ، ثم ينقل عن ديسقوريدوس وجالينوس ، وابن سمجون ، واسحق ابن عمران ، وعبد الله بن صالح ، والرازى ، وابن سينا ، ومسيح الدمشقي وغيرهم من أطباء العرب ، ينقل آراءهم فى كيفية التداوى بها ، وكيفية صنع الدواء منها .

وكذلك تحدث عن الأشخيص والأشنان وقال انه أجناس كثيرة ، وكلها من الحمض ، والأشنان هو الحرض ، وهو الذى يغسل به الثياب ، نبات لا ورق له ، وله أغصان دقاق شبيه بالعقد ، وهى رخصة كثيرة المياه ، ويعظم حتى يكون له خشب غليظ يستوقد به ، وناره حارة جدا ، ورائحة دخانه كريهة ، وطعمه الى الملوحة ، وهو مع الحمض . وعن الأفسنتين ـ نقلا عن الشريف الادريسى ، نبات مسلس ، يلحق بالشجر الصغير ، قدر نباته ، يقوم على ساق ، ويتفرع منه أغصان كثيرة ، وعلى الأغصان أوراق كثيرة متكاثفة ، بيض الألوان ، تشبه

الأشنة في تخريطها ، وله زهر أقحواني صغير أبيض في وسطه صفرة تخلفه رؤوس صغار فيها بذر دقيق ، وفي طعمه قبض ومرارة .

ويقول عن « الأنيسون » لبن الخشخاش الأسود ، لا يعرف الا بديار مصر وخاصة بالصعيد بموضع يعرف بأسيوط ، فانه منها يستخرج ، ومنها يحمل الى سائر البلدان ـ وعن أمير باريس هو البرباريس منه أندلسي ورومي وشامي ، يجلب من جبل بيروت وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر والشام ، وهي شجرة خشنة النبات خضراء ، تضرب الى السواد ، تحمل حبا صغيرا بنفسجيا ـ وأسهب ابن البيطار في الحديث عن الأنجدان ، والأنيسون والأنجرة وأنا فالس ، والأيهقان ، والبابونج وقال انه ثلاثة أصناف ، والفرق بينها في لون الزهرة ، وله أغصان طولها نحو من شبر شبيه بأغصان التمنش ، وفيها شعب وورق دقاق صغار ، ورؤوس مستديرة صغار

في باطن بعضها زهر أبيض ، وفي بعضها زهر مثل لون الذهب . وفي الذى ظهر من الزهر على الرؤوس يظهر باستدارة حولها ، ويكون لونه ابيض واصفر وفرفيرى ، وهو في قدر زهر السداب ، وينبت في اماكن خشنة وبالقرب من الطرق ، ويقطع في الربيع . وتكلم عن البان والبرتوف والبرواق وبزر قطونا والبشنة وقال اسم حجازى للحبة السوداء وهو البشنين يكون بمصر ، ينبت في الماء اذا أطيق النيل على أرض مصر وله أصل يشبه السفرجلة ، ويؤكل نيئا ومطبوخا ، وطعمه مطبوخا يشبه صفرة البيض ، نباته نبات النيلوفر . كما أورد البطم وقال هى الحبة الخضراء ، تنبت بالجبال وعلى الحجارة والشجرة عيدانها خضر الى السواد وحبها أخضر ، وفي لحائها وورقها وثمرها شيء قابض . وقال عن اليلسان انه شجر لا يعرف نباته اليوم بغير مصر خاصة في الموضوع المعروف منها بعين شمس ، عظم شجرته مثل عظم شجرة الحبة الخضراء ، وله

ورق شبيه بورق السذاب ، غير أنه أشد بياضا، وأدور ورقا . ويقـــول عن الثلثان هو عنب الثعلب ، وعن الشام ، معروف بالديار المصرية، وهـو المرعى ، وهيئـة ورقه عـلى هيئـة ورق الزرع (٢) وقضبانه ذات كعوب ككعوب قصب الـزرع ، الا أنهـا مصمته وهي ارق واطـول وورقه كذلك ، وهو ينبت متدوحا ، وأصـوله لحمية متشعبة ، ويخرج سنابل على شكل سنابل السخ البرى ، وطعمه كله حلـو ، وسـنابله مسودة . وكذلك وصف الثوم والثيل والباوشير والجلنار، والجلبان وجوزبوا وهو جوز الطيب، في قدر العنصل سهل الكسر ، رقيق القشر ، طيب الرائحة .

وفي الجزء الثاني من كتاب الجامع ، عالج ابن البيطار مئات أخـرى من أنـواع النبـات والحيوان والمعادن مما يتطيب به ، فتكلم عن

---

(٢) يريد القمح .

حب الزلم ، وحب الملوك ، وحب الرشاد وحب القلب ، وحب الفلفل الحدق ، والحرمل والحرنبل والمسك والحشش والحلبة والحلتيت والحماض والحنظل والحندقوقي والخس والخروع والخشخاش والخلاف والخلنجان وخيار شنبر والدار صيني والدفلى ، والرواند والربرق والرازيانج والرتم والريباس والزقوم والزنجبيل والزبرقون .

ولقد تابع ابن البيطار عرضه لمفرداته في الأجزاء الأخرى من كتابه ، مرتبا اياها على أحرف المعجم ، موردا آراء كل من تقدمه من العلماء ، مضيفا ما رآه بنفسه فلم يترك كمونا ولا كركما ولا كراوية كذلك اللبخ واللبلاب واللوف والحلب والمحمودة والمر والنارنج والنارديج والهنديا والياسمين واليروح واليتوع والينبسوت وغيره كثير من أنواع النبات .

ثانيا : في الحيوان

تناول ابن البيطار عددا غير قليل من الحيوانات ، التي يتخذ منها عقارا او ينصح بالتداوي بها على نحو من الأنحاء ، فتكلم عن ابن عرس ، و « اترا » صنف من الطير ، وأرنب بري وأرنب بحري ، وهو حيوان يجري مجرى صغير صدفي الى الحمرة ، وأسد الأرض وهو الحرباء ويسمى باليونانية « خاماليون » والافعى ، والأوز والابل والبط والبقر وتدرج وهو طائر مليح بأرض خراسان والتمساح والتن وهو الحوت والثعلب والجراد وجراد البحر له رأس مربع ما هو ، وله فيما بين رأسه صدف خرقي وبعضه لا خرق عليه ، ولها مع كلا الجانبين عشر أيد طوال شبيهة بالعناكب الا أنها كبار جدا ، ولها قرنان دقيقان قائمان ، ولها في مواضع شواربها قرنان دقيقان وعينان بارزتان متدليتان من رأسها .

والجمل ، وقال عن « الحباحب » انه حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنه نار ، والحبارى ـ طائر كبير العنق رمادي اللون ، في منقاره بعض الطول وهو مشهور ، لحمه بين لحم الدجاج والبط ، والهبرج وهو طائر معروف في الديار المصرية مشهور بها وقال عن الحدأة ، طائر معروف كالبازي يأوي الى المدن والعمارات . والحرذون قريب من طبع الورل . والحرجول نوع من الجراد ، والحرباء والحلزون والحلم وهو القراد ، والخراطين وهي الديدان التي اذا حفر الانسان أو حرث في القدان وجدها تخرج من الأرض . اذا سحقت ووضعت على العصب المقطوع نضمته . والخفاش قال : هو الوطواط وسمي خفاشا لصغر عينيه وامتناع بصره في النهار ورؤيته بالليل ـ كما تكلم عن الخنفساء ومنافعها واستعمالاتها في الدواء وكذا الخنزير والدب والدج والدارج والطفين

والدئب والرخمة والرعاد وهو الحيوان البحرى الذى يحدث الخدر . يقول ابن البيطار وقد ذكر قوم أنه اذا أدنى من رأس يشتكى الصداع، سكن صداعه واذا أدنى من مقعدة من انقلبت مقعدته أصلحها ، ولكن قد جربت أنا الأمرين جميعا فلم أجده يفعلها ولا واحدا منهما، ففكرت فى أن أدنيه من رأس صاحب الصداع والحيوان حى بعد ، لأننى ظننت أنه على هذه الحال يكون دواء يسكن الصداع بمنزلة الأدوية الأخرى التى تحد من الحس فوجدته ينفع ما دام حيا . ولعله تنبه الى أن أثر التيار الكهربائى الضعيف الذى يصدر عن الرعاد لا يكون الا اذا كان الكائن حيا ، ولهذه الملاحظة قيمتها .

وذكر أيضا الرونيان (الجنبرى) بيد أنه قال هو سمك بحرى يسميه أهل مصر القرنفس وأهل الأندلس يعرفونه بالقمرون . والزرافة

والزمج والسنقور والسلحفاة والسلوى والسمانى والسمك وسمكة صيدا والسمور والسنجاب والسنور والسيسبا والشبوط قال هو ضرب من الحوت ، والشحرور ، وشفنين بحرى ، وهى دابة بحرية شكلها شكل الخفاش و « شنج » وهو الحلزون البحرى الكبير المقرن الجوانب وهو نوع من الحلزون عظيم غليظ الوسط مستدير الطرفين ، وشوداتيق ، طائر معروف والصقر والضأن والضبع والضفدع والطاووس والطيهوج وهو طائر والعصافير والعظاية والعقرب والعقاب ، العقعق والعلق يقول وتقوم مقام الحجامة والعنكبوت والفار والفاختة والفنك والقبيح وهو الحجل والقنفذ والقنبرة والكركى والماعز والنسر والنعام والنمل والنمر والورل والهدهد ويربوع .

وكذلك أورد ابن البيطار في جامعه عددا من المعادن والأحجار التي يتداوى بها او تدخل في تركيب الأدوية، فذكر الأبار، وهو الرصاص الأسود ، يقول وزعم بعضهم أنه اذا أحرق سمي كذلك . وقال عن الأثمد حجر يخالطه الرصاص ، ويروى عن اسحق بن عمران هو حجر الكحل الأسود ، يؤتى به من أصفهان ومن جهة المغرب وهو حجر أسود صلب ، ملمع براق كحلي اللون ، وارتكان ، حجارة صفار صفي رخمة اذا أحرقت احمرت واكتسكت ويسمى حجر النسر قال انه نافع لعسر الولادة ، والبورق، يقول أنواعه مختلفة ، ومعادنه كثيرة كمعادن الملح ، منه ما يكون أحمر وأبيض وأخير والوان كثيرة والنطرون وان كان من جنس البورق ، فان له أفاعيل غير أفاعيل البورق ، منه أرمني

ومصرى ، والتوتيا ثلاثة أجناس منها بيضاء ، ومنهـا الى الخضرة ومنهـا الى الصفرة مشرب بحمرة ومعادنها على سواحل بحر الهند، وأجودها البيضاء ، والجبس والجزع وهو حجر معروف وهو صنفان يمانى وصينى ، وجمشت ، حجر بنفسجى ، صبغه مركب من حمرة وردية وسماوية ـ وحجر يهودى ولعله يريد زيتون بنى اسرائيل وهو حجر بفلسطين شبيه فى شكله بالبلوط أبيض بالبياض (بريد الفرجار) ، وهو حجر ينصاع بالماء لا طعم له ، يفتت الحصاة المتولدة فى المثانة ، وقد دلت البحوث الحديثة على أنه حيوان متحجر من عصور جيولوجية قديمة وأن به نسبة من أملاح ثانى الكربونات والسترات ، تدر البول . والحديد قال ويستعمل فى مداواة الأمراض على ضروب كثيرة هو وبرادته وخبثه وزنجاره ، وماؤه وشرابه اللذان يطفأ فيهما وهو محمى .

ويقول في الذهب نقلا عن ابن سينا ، انه معتدل لطيف سماله تدخل في أدوية السوداء ، والفشل الكبي وأسرعه برءا ما كان بكسوى من ذهب ، وامساكه في الفم يزيل البخر وتدخل سماله في أدوية داء الثعلب وداء الحية طلاء وفي مشروباته ، ويقوى العين كحلا .

كما تحدث ابن البيطار عن الرخام والرصاص والزرنيخ والزمرد والزنجار والزئبق والسنباذج والستجفر وهو الزنجفر والشاذنج أو حجر الدم والشب والشبهان وهو النحاس الأصفر والطلق .

ثم ذكر العقيق والفضة والكبريت .

وتحدث عن الأكحال فهذا كحل السودان وكحل فارس .

كما ذكر اللازورد واللؤلؤ .

وأورد من الأحجـــار مرهيطس ومرطيس ومرداســـنج ومرقشـــيا والمرمر والمغنيسيا والمغناطيس والمها والنطرون .

ثم تكلم عن النحاس والياقوت .

كذلك تكلم ابن البيطار عن كثير من الأدهان فذكر دهن الأبرســا ودهن الزعفـران ودهن الحناء ودهن القيسوم ودهن النرجس ، ودهن الورد ، ودهن البـابونج ، ودهن السـفرجل . كما تكلم عن الأطيان (جمع طين) فذكر طين أرمني وطين نيسابوري ، وطين حر ، وطـين كرمي ، وطين جزيرة المسطلكي ، وطين تيموليا وغـيرها ، ولـكل فوائده ، ولـكل اسـتعماله الخاص .

منهاجه في البحث

لقد اتبع ابن البيطار نفس المنهج الذي تبعه غيره في هذه الصناعة ، انه نفس النهج الذي ارتضاه ابن سينا ، وداود ، ونفس الترتيب الأبجدي الذي فضلوه على غيره من طرائق الترتيب ، وأنه لدائم الاستشهاد بأقوال أئمة الصناعة من أمثال ابن سيناء ، وجالينوس ، وأبقراط ، وديسقوريدوس وغيرهم . ولعله شايعهم كذلك فيما تأثروا به من معتقدات وما قالوه من وصفات وما آمنوا به من ألوان العلاج ، فهو في ذلك مقلدا أكثر منه مبتكرا ، ولا أكاد أتبين تفرده في طريقة أو تميزه بمنهاج . وليس معنى ذلك أن نجحد فضله فيما أورد من معلومات عظيمة النفع كبيرة القيمة .

مالا يتفق والذوق العام والطب الحديث

ولم يسلم ابن البيطار ، من ايراد كثير مما لا يتفق والذوق العام كقوله : ان زبل التمساح يزيل بياض العين ، واذا علق قلب الحبارى في خرقة على من يكثر نومه منع عنه النوم ، وانه اذا علق قلب الحرذون على صاحب حمى الربع في خرقة سوداء ابرأها وأزالها ، وان رماد الوطواط يحد البصر ، أو أن يعلق نبات ما على العضو الذى يتألم فيسكن ألمه ، أو أن زبل الذئب يسقى لمن كان به وجع الفولنج ، أو أن دم هذا الحيوان اذا قطر في الأذن سكن وجعها .

لقد حفل جامع ابن البيطار بكثير من أمثال ما ذكرت ، مما لا أظنه جربه بنفسه ، ولعله شايع فيه العامة ، وقد تنبه هو نفسه الى ذلك في بعض الأحيان حين قال عن سمك الرعاد انه

يزيل الصداع ، فقال انه جربه بنفسه فلم ينفع وانما تبين أثره حين كان السمك حيا وحبذا لو ذكر لنا أنه جرب كثيرا مما أورد ليثبت لنا نفعه مع عدمه .

ومع ذلك فلا أظن الذوق العام أو الطب الحديث يسيغ الكثير مما أشار ما ذكرت ، ولا أظنه مما يسيغه الرأى العام المثقف أن يلجأ الى هذه الوصفات ، ويترك العلاج بالذرة والمضادات الحيوية والأشعة وما أشبه من مستحدثات العلم فى العصر الحديث ، فضلا عن الأمصال والحقن والجرعات ذات الفيتامينات والهرمونات مما يكون له تأثير مباشر فى علاج هذا المرض أو ذاك .

وبعد ، فلا مراء في أن مفردات ابن البيطار تغلب فيها المادة الطبية ، التي أجهد نفسه في جمعها وترتيبها وتبويبها ، فهو في كتابه هـذا طبيب أكثر منه عالم ، ولا شـك أن الكتـاب يحوى كثيرا من المعلومات المفيدة ، تحتاج الى متخصصين يعنون بتحقيقها ، وتعريف الناس بها ، ولعل بعضها أن يفيد فيما يزال مستعصيا عـلى الطب الحـديث والعلم الحديث ، أو لعله يثبت أن الطريقة القديمة ليست شرا كلها كما يعتقـد البعض ، وأن فيهـا بعض الخير ، اذا أحسن استعمالها ، وليس معنى هذا أننا ندعو الى العود الى الطب القديم في عصر الذرة ، ولكن الذى وقر في ذهني أن في هذا القديم كثيرا من الخير ، أو على الأقل بعض الخـير يمـكن لذوى الخبرة والاختصاص أن يستخلصوه ، وأن يجلوه

على النـاس مبرأ مما علق به من طز عبـلات أو أوهام .

وعندي أن ابن البيطار قد تميز في مفرداته بسلامة العرض وأمانة النقل ، مما يجعله بحق من أئمة أهل الصناعة في زمانه .